

الفصل الثالث

ابن حزم.. والنصرانية

يعتمد ابن حزم فى الحديث عن النصارى على القواعد الآتية:

(أ) فهم الأناجيل على ظاهر الألفاظ - كما تدل عليه اللغة - وعدم اعترافه بتأويل الكنيسة وأخبارها، إذ يرى فى ذلك نوعا من الخداع والتضليل، وقد ذكرنا الأمثلة على ذلك فى موضعها من تلك الرسالة^(١)..

(ب) اعتبار كل كتاب يوجد الكذب فيه - مثل الإنجيل - باطلا وموضوعا وليس من عند الله - عَلَيْهِ - ^(٢).

(ج) عدم الاعتراف بالكثرة «فالحق حقُّ صدقه الناس أو كذبوه، والباطل باطل صدقة الناس أو كذبوه، ولا يزيد الحق درجة فى أنه حق إطباق الناس كلهم على تصديقه»^(٣)..

(د) التركيز على العقائد فى مناقشة النصرانية، لأنه ليس فى الاشتغال بالأحكام الشرعية شىء يوجب العقل أو يمنعه بل كلها من الممكن، فإذا قامت البراهين الضرورية على قبول الأمر بها ووجوب طاعته وجب قبول كل ما أتى به كائنا ما كان من الأعمال^(٤)..

(هـ) اعتماده فى مناقشة الإنجيل وغيره من كتب النصارى على النصوص الواضحة التى لا يشك كل ذى مسكة تمييز أنه كذب على الله - تعالى - وعلى الأنبياء - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - إلى أخبار أوردوها لا يخفى الكذب فيها على أحد^(٥)..

(١) راجع مبحث ظاهرية ابن حزم وأثرها على كتاب الفصل.

(٢) الفصل ١ / ١١٦.

(٣) الفصل ١ / ١٠٣.

(٤) الفصل ١ / ٣٧.

(٥) الفصل ١ / ٩٢.

وقد اهتم ابن حزم فى هذا الباب اهتماما كبيرا بعقائد النصارى خصوصا ما يتعلق بقضايا التثليث والحلول، والصلب والفداء.. كما أنه أفرد جزءا كبيرا من دراسته عن كتب النصارى ومناقشتها وإثبات كذبها وتناقضها.. وقد كان ابن حزم يرى أن الفساد الذى دخل على ديانة النصارى منشؤه تلك الأناجيل التى وضعها أحبارهم واتخذوا منها سندا لما يذهبون إليه من تثليث وصلب وحلول، ولذلك يقول تمهيدا لمناقشة هذه الكتب.. «معتمد النصارى كله الذى لا معتمد لهم غيره من قولهم بالتثليث، وأن المسيح إله، وابن الله، واتحاد اللاهوتية بالناسوتية والتحامه به إنما هو كله على أناجيلهم وعلى ألفاظ تعلقوا بها مما فى كتب اليهود كالزبور وكتاب أشعيا وكتاب أرميا، وكلمات يسيرة من التوراة، وكتاب سليمان وكتاب زكريا..»^(١) ولذلك نجده انطلقا من اتجاهه الموضوعى الذى لا يهتم بالتفاصيل التاريخية لا يذكر عن فرق النصارى إلا قدرا قليلا مكتفيا بذكر ملخص عن نشأة كل فرقة ومدى انتشارها، وهذه البيانات – على إيجازها – يقول عنها العالم الفرنسى (دى لابوليه) إنها تعد بالغة الدقة..»^(٢)

ثم يقول بعد ذلك: «إن المسائل الاعتقادية التى عالجها فيما بعد أحبار المسيحية ممن ذكر أسماءهم سبق أن يحثها ابن حزم وناقشها فى كتابه الفصل^(٣)» وهذه شهادة لها قيمتها..

والذى يطالع ماكتبه ابن حزم عن ديانة النصارى يرى أنها تناقش ثلاث نقاط هامة:

أولها: عقيدة التثليث.

ثانيها: عقيدة الصلب والفداء.

ثالثها: دراسة الأناجيل وكتب النصارى الأخرى.

(١) الفصل ٢ / ٦.

(٢) عبد العزيز عبد الحق: مقدمه الرد الجميل ٨١.

(٣) الموضوع السابق.

وسوف نلقى مزيداً من الضوء على تلك الركائز الثلاثة حتى يتضح لنا منهج ابن حزم في دراسته للنصرانية.

أولاً: عقيدة التثليث:

تناول ابن حزم تلك المسألة بطريقة يغلب عليها طابع الرد وإظهار التهافت أكثر من تقريرها وبسطها.. فهو يتحدث عنها بإيجاز وتركيز، ثم لا يلبث أن يفيض في مناقشة الفكرة بكل ما أوتى من علم وقوة.. ويذكر عن فرقة الملكانية التي يعرف أتباعها في عالمنا العصري بالكاثوليك - أنهم يرون أن «الله - تعالى - عن قولهم - ثلاثة أقانيم أب وابن وروح قدس كلها لم تنزل، وأن عيسى - ﷺ - إله تام كله، وإنسان تام كله، ليس أحدهما غير الآخر.. وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك، وأن مريم ولدت الإله والإنسان، وأنهما معا شيء واحد ابن الله تعالى الله عن كفرهم^(١)».

وأما فرقة اليعقوبية (الأرثوذكس) فيقول: إن عقيدتهم في المسيح أنه هو الله تعالى نفسه، وأن الله تعالى مات وصلب وقتل، وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان، وأن الله تعالى عاد مُحدثاً وأن المُحدث عاد قديماً، وأنه تعالى كان في بطن مريم محمولاً به.. ويذكر ابن حزم أن أتباع هذه الفرقة يعيشون في مصر والحبشة^(٢)، وهذا كلام صحيح إلى يوم الناس هذا...

ويبدو أن ابن حزم كان يرى أن قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (سورة المائدة: ٧٢) نزلت في اليعاقبة الذين ذكر عنهم أن مقاتلهم في المسيح - ﷺ - أنه هو الله نفسه.. كما أن الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ (سورة المائدة: ٧٣) جاءت في الملكانية القائلين بأن الله تعالى ثلاثة أسباب أو أقانيم - كما يعبر النصارى - أب وابن وروح قدس..

(١) الفصل ٤٩/١.

(٢) الفصل ٤٩/١.

والذى يبدو لنا من دراسة الفكر المسيحى أن اليعقوبية لا تختلف مع الملكانية فى أصل القول بالتثليث، وإن اختلف مفهوم كل منهما حول ماهيته وطبيعته.. ومن ثم فإن قصر آية على فرقة دون أخرى فيه نظر...

ويبدأ ابن حزم رده على القول بالتثليث بذلك الاستهلال:

«وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن فى العالم عقلا يسع هذا الجنون، ونعوذ بالله من الخذلان»^(١)!! ويسأل اليعاقبة القائلين بأن العالم بقى ثلاثة أيام بلا مدبر لما صلب المسيح..!!

«عرفونا من دبر السموات والأرض وأدار الفلك هذه الأيام الثلاثة التى كان فيها ميتا؟! وكيف يعود الإله محدثا والمحدث قديما والاستحالة والنقلة لا يوصف بهما الأول الذى لم يزل؟؟ ولو كان كذلك لكان محدثا والمحدث يقتضى محدثا خالقا له تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا»^(٢)؟.

ثم يقول للملكية القائلين بأن الله ثلاثة أشياء أب وابن وروح قدس كلها لم تنزل وأنها مع ذلك شىء واحد - كيف يكون الواحد ثلاثة والثلاثة واحداً!؟؟ أليس هذا هو عين التخليط^(٣).

وإذا كنتم تقولون: إن الثلاثة واحد، فما تقولون فيما ورد فى إنجيلكم بقوله فيه: «سأقعد عن يمين أبى» وأيضا ما ورد فى إنجيل مرقس: «إن القيامة لا يعلمها إلا الأب وحده وأن الابن لا يعلمها»^(٤) أليس هذا يوجب أن الابن ليس هو الأب..!؟

ويبدو أن مسألة التثليث عند النصارى كانت بالنسبة لابن حزم بمثابة المفتاح الذى يدخل به معترك النقاش والجدل مع هؤلاء القوم، وقد كان النصارى فى دولة الأندلس يحاولون أن يجدوا لأنفسهم مخرجا لتلك الأسئلة الحرجة التى يطلب صاحبنا جواباً لها...

(١) الفصل ١/٤٩.

(٢) الفصل ١/٥٠.

(٣) انظر الفصل ١/٥٠.

(٤) مرقس ١٣ : ٣٢.

وقد سجل لنا ابن حزم في كتابه الفصل بعض ما قاله النصارى دفاعا عن عقيدتهم واعتبرها «أبو محمد» أقوالا مستهجنة، وأشياء ملفقة لا تصلح جوابا قط.. من ذلك ما ردَّ به بعضهم دفاعا عن التثليث إذ قال: «لما وجب أن يكون البارى تعالى حيا وعالما وجب أن تكون له حياة وعلم فحياته هي التي تسمى روح القدس، وعلمه هو الذى يسمى الابن^(١)».

وبعد أن يجتهد ابن حزم فى الرد على هذا الكلام - الذى وصفه بأنه «أغث ما يكون من الاحتجاج^(٢)» - وأن الله سبحانه - لا يصح أن يوصف بشيء من هذا إلا بطريق السمع خصوصا وأنه لا بد من دليل نقلى على هذا الزعم وهيهات أن يكون فى أناجيلهم دليل..!!

بعد ذلك يورد ما قاله بعضهم - ولعله من الشخصيات المسيحية التى ناقشها ابن حزم.

«لما كانت الثلاثة تجمع الزوج والفرد - هذا أكمل الأعداد - وجب أن يكون البارى تعالى كذلك لأنه غاية الكمال^(٣)». ويأخذ ابن حزم فى الرد على هذا الشبهة التى تعتبر من أغث الكلام - على حد قوله ومن أهم ما ردَّ هذا الزعم أن كل عدد بعد الثلاثة فهو أتم من الثلاثة، لأنه يجمع إما زوجا وزوجا، وإما زوجا وفردا، وإما أكثر من ذلك وبالضرورة يعلم أن ما جمع أكثر من زوج وفرد فهو أتم وأكمل مما لم يجمع إلا زوجا وفردا فقط فليزمه أن يقول إن ربه أعداد لا تنتهى أو أنه أكثر الأعداد، وهذا أيضا ممتنع محال لو قاله، وكفى فسادا بقول يودى إلى المحال^(٤)..

ومما يدل أيضا على بطلان هذا القول أنه مضاة لقولهم أن الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة، لأن الثلاثة التى تجمع الزوج والفرد غير الثلاثة التى هي عندهم واحد بلا

(١) الفصل ٥٠/١.

(٢) الموضوع السابق.

(٣) الفصل ٥٢/١.

(٤) الفصل ٥٢/١.

شك.. كما أن هذا المعنى الذى ذهب إليه نجده فى الاثنيين ، لأن الاثنيين عدد يجمع فردا وفردا وهو زوج مع ذلك.. ويختم رده بقوله ، إن كل عدد فهو محدث ، وكذلك كل معدود يقع عليه عدد فهو أيضا محدث^(١)..

ومما هو جدير بالذكر أن اهتمام ابن حزم بقضية الألوهية عند النصارى دون غيرها من جوانب الفكر المسيحى مثل المجامع المسيحية وغيرها يدل على وعى بمواطن الضعف عند أهل الكتاب، لأن آراء النصارى فى الإله كانت موضع تعجب واستنكار عند كثير من المفكرين لما تحمل بين طياتها من لبس وغموض يحار معه العقل، ويرده الفكر السليم، ولقد أحسن الجاحظ عندما قال: «ولو جهدت بكل جهدك وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم فى المسيح لما قدرت عليه حتى تعرف به حد النصرانية وخاصة قولهم فى الألهية. وكيف تقدر على ذلك؟ وأنت لو خلوت مع نصرانى نسطورى فسألته عن قولهم فى المسيح لقال قولا، ثم إن خلوت بأخيه لأمه وأبيه وهو نسطورى مثله فسألته عن قولهم فى المسيح لأتاك بخلاف قول أخيه وضده.. وكذلك جميع الملكانية واليعقوبية.. ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية كما نعرف جميع الأديان..»^(٢)..

ثانيا: عقيدة الصلب والفداء:

يبدأ ابن حزم نقده لعقيدة الصلب باعتراض يقول فيه:

يرى اليهود والنصارى أن المسيح - ﷺ - قد صلب وقتل، وجاء فى القرآن بأنه لم يقتل ولم يصلب ثم يسألون: كيف كان هذا؟ فإن جوزتم على هذه الكواف العظام المختلفة الأهواء والأديان والأزمان والبلدان والأجناس نقل الباطل. فليست بذلك أولى من كافتكم التى نقلت أعلام نبيكم وشرائع وكتابه، فإن قلت إنهم اشتبه عليهم فلم يتعمدوا نقل الباطل فقد جوزتم التلبيس على الكواف فلعل كافتكم أيضا ملتبس عليهم، فليس سائر الكواف أولى بذلك من كافتكم^(٣)..

(١) راجع الفصل ٥٣/١.

(٢) ثلاث رسائل للجاحظ تحقيق فنكل ص ٢٢، نشر المطبعة السلفية بالقاهرة الطبعة الثانية.

(٣) انظر: الفصل ٥١/١.

ويتركز رد ابن حزم في بيان أن صلب المسيح - ﷺ - لم ينقله قط كافة يلزم من إخبارهم العلم الضروي، إذ إن الكافة التي يلزم قبول نقلها لا بد أن تكون جماعة يوقن أنها لم تتواطأ على الكذب لتتأبذ طرقهم وعدم التقائهم وامتناع اتفاق خواطهم على الخبر الذي نقلوه عن مشاهدة أو رجوع إلى مشاهدة، فهذه صفة الكافة التي يلزم قبول نقلها ويضطر خبرها سامعها إلى تصديقه، وسواء كانوا عدولا أو فساقا أو كفارا^(١) ثم يقول ابن حزم: «فلما صح ذلك نظرنا فيمن نقل خبر صلب المسيح - ﷺ - فوجدناه كواف عظيمة صادقة بلاشك في نقلها جيلا بعد جيل إلى الذين ادعوا مشاهدة صلبه، فإن هنالك تبدلت الصفة ورجع الخبر إلى شرط مأمورين مجتمعين مضمون منهم الكذب وقبول الرشوة على قول الباطل^(٢)».

وعندى أن ابن حزم لم يوفق في عرض قضية الصلب والفداء، والردود التي أوردتها ليست بذات بال.. ولعله لو سلك طريق النقد والتمحيص بدل الرد والدفاع لكان أجدى لقضيته وأهدى سبيلا.. وكم كنا نود أن يعرض لنا شبه النصارى التي يسوغون بها صلب المسيح - ﷺ - ثم يأخذ في إظهار تهافتها والرد عليها كما فعل في المواطن الأخرى التي ناقش فيها عقائد النصارى وكتبهم.

وقضية الصلب التي عرض لها ابن حزم في كتابه الفصل تُعدُّ من أهم عقائد النصارى، لأنهم اتخذوا منها أساسا وبداية لتأليهه، وأساسا للتثليث، وأساسا لاتخاذ الصليب رمزا مقدسا للمسيحية كلها دينا، ويكفى أن نعرف أن الصليب الذي يعتقدون أن المسيح قتل عليه أصبح رمزا مقدسا عندهم.

وهو رمز للتثليث والفداء معا، وهو كذلك رمز للمذبح الذي ذبح عليه المعصوم، وهو أيضا رمز لأكبر فاجعة في تاريخ البشرية. وهو في الوقت نفسه أساس الكنيسة وعماد الإنجيل ورمز الحياة الأبدية^(٣)..

وأساس عقيدة الصلب عند النصارى كما يصورها علماءهم أن من صفات الله العدل والرحمة، وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة

(١) انظر الفصل : ٥٨/١.

(٢) الفصل : ٥٨/١.

(٣) عبد الأحد داود: الإنجيل والصليب. ٩.

التي ارتكبتها أبوهم وطرد بها الجنة واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر، ولم يكن هناك من طريق للجميع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيدته الذي بعثه إلى الأرض فاتحد بالناسوت، ثم قدم نفسه على الصليب فداء للجنس البشرى كله^(١).

ولعله من المناسب هنا أن نورد بعض الردود التي ذكرها مفكرو المسلمين على هذه العقيدة وذلك فيما يلي:

١ - يدعى المسيحيون أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة، والواقع أن هذا الصلب المزعوم لم يفلح في تحقيق العدل ولا الرحمة. فلم يتحقق واحد منهما، بل انتفى كلاهما. وبدلاً من أن يوصف الإله بالعدل والرحمة معاً، وصم بالظلم والقسوة جميعاً - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - أما العدل فلم يتحقق، لأن ألف باء العدالة تقتضى أن يتحمل الجاني مسئولية جنايته، فلا ينزل العقاب بغيره بل ينزل به هو، فإذا ما خرج الأمر عن ذلك كان ظلماً وليس عدلاً، فإذا ما تصورنا أن زيدا من الناس قد ارتكب جريمة ثم نزل عقابها على عمرو، فإن أقل العقول ذكاء تجزم بأن ذلك ليس من العدل في شيء على الإطلاق.

وكذلك لم تتحقق الرحمة، لأن الرحمة تقتضى العفو عن الجاني بمعنى أن يكون هناك جان يستحق العقاب. فتعفو عنه كلية أو تخفف من عقابه المستحق شيئاً، ولكن القضية التي معنا - قضية الصلب - ترك فيها الجاني الحقيقي. ثم أخذ مكانه البريء وتحمل العقاب من لا يستحقه. فأين هي الرحمة^(٢)!

٢ - إذا كانت حكمة الله - تعالى عن ذلك - هي فداء الجنس البشرى، حتى لا يخلد في العذاب الأبدي - كما يزعمون - فلم لم يفعل ذلك منذ وقعت الخطيئة؟ ثم لم لم يبعث بابنه الفادى ليفدى العالم منذ آدم أو بعد آدم بألف أو ألفين من السنين؟ وما هي الحكمة في انتظاره - تعالى - كل هذه المدة المديدة؟.

(١) راجع زكى شنودة: تاريخ الأقباط ٢٣٨ وأحمد طلبة: المسحية ١٥٥.

(٢) محمود مزروعة: دراسات في الملل والنحل ١١٤ - ١١٥.

وللسيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار، تعليق يقرب من مضمون هذه الفقرة فهو يقرر أن عقيدة الصلب تتنافى مع الإيمان بأن الله بكل شيء عليم، وفي صنعة حكيم لأنه حين خلق آدم لم يكن يدري بما سيفعله آدم وحين ارتكب آدم المعصية لم يدرك بماذا يعالج هذه الخطيئة، ووقع في ورطة الحيرة والتردد، ولم يهتد إلى حل لهذه الخطيئة أو علاج لها إلا بعد آلاف السنين^(١)..

٣ - ونحن نتساءل: ما عاقبة الذين رحلوا عن الدنيا قبل أن يجيء المسيح؟ إذا كانوا ناجين فكيف؟ ولم يكن الفادي قد نزل وصلب.. وإذا كانوا مؤاخذين بخطيئة أبيهم آدم، فلم غفلت عنهم رحمة الله ولم ترسل بالفادي ابتداء حتى ينجو الجميع؟ وما هي الحكمة في رحمة البعض دون الآخرين؟! وإذا كان إرسال الله ابنه لفداء البشرية رحمة للذين وجدوا بعد المسيح، أفلا يكون تأخيره عن الذين رحلوا قبله قسوة^(٢)..

٤ - ثم إذا كان جميع البشر قبل الفداء ملوثين بالخطيئة، فهل كان الأنبياء من أمثال نوح وإبراهيم وموسى الذى نزل عيسى نفسه تابعا لشريعته مدنسين بالخطيئة كذلك؟ وإذا كان الأمر - كما تقرر المسيحية فعلا - فكيف اختارهم الله - مع دنسهم هذا - لهداية البشرية^(٣)؟.

٥ - ويدعى المسيحيون أن ذراري آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة أبيهم، وفي أى شرع يلتزم الأحفاد بأخطاء الأجداد وبخاصة أن الكتاب المقدس ينص على أنه لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل^(٤).

٦ - وإذا كان المسيح قد نزل لفداء البشرية. وقبل أن يصلب تكفيرا لخطيئة آدم. ورضى بذلك أبوه وأنزله خاصة لهذا الغرض وكان فى ذلك الصلب ترضية لأبيه، وإذا كان الصلب بناء على ذلك هو مشيئة الأب والابن معا، فلم إذن يلين

(١) محمد رشيد رضا: الصلب والفداء ١٩-٢ وانظر - أيضا - دراسات فى اللؤلؤ ١١٦.

(٢) دراسات ١١٧.

(٣) الموضع السابق.

(٤) سفر التثنية ٢٤ : ١٦.

المسيحيون يهوذا الذي دلّ اليهود على مكان المسيح؟ ولم يلعنون اليهود الذين نفذوا ذلك؟ ويهوذا واليهود لم يفعلوا شيئاً سوى تحقيق مشيئة الأب والابن معاً. ولم يعملوا إلا على تحقيق الغاية التي من أجلها جاء المسيح. ولو فرضنا أن اليهود لم يصلبوه أفلا يكون معنى ذلك فشل القضية كلها^(١)؟
ثالثاً: مناقشته للكتب والمصادر المسيحية:

وطريقة ابن حزم فى تناول كتب النصارى تعتمد على خمسة مباحث:
المبحث الأول:

التعريف بكتبهم المقدسة..

المبحث الثانى:

بيان ما فى الأناجيل من تناقض..

المبحث الثالث:

بيان ما فى الأناجيل من كذب..

المبحث الرابع:

إبطال ألوهية المسيح من نصوص أناجيلهم..

المبحث الخامس:

العوامل التى أدت إلى تحريف كتبهم وفسادها..

وفيما يلى بيان هذه المباحث الخمسة فى ضوء ما كتبه ابن حزم فى كتابه الفصل..

المبحث الأول: كتبهم المقدسة

وهى كما أوردها ابن حزم تشتمل على خمسة أقسام، تذكرها على الترتيب التالى:

١- الأناجيل الأربعة:

وهى إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، ويذكر ابن حزم: أن النصارى لا يدعون أن الأناجيل منزلة من عند الله على المسيح ولا أن

(١) راجع أحمد شلبي: المسيحية ١٥٩ ودراسات ١١٨

المسيح أتاهم بها، بل كلهم لا يختلفون من أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون في أزمنة مختلفة^(١)، ويرى أن إنجيل متى ألفه صاحبه بعد تسع سنين من رفع المسيح - ﷺ - وكتبه بالعبرانية في بلد يهوذا بالشام، ويصف لنا النسخة التي كانت موجودة في عصره ورجع إليها بأنها تتكون من ثمان وعشرين ورقة بخط متوسط^(٢).. وبعض هذه المعلومات التي يسوقها الإمام تحتاج إلى شيء من النظر في ضوء المكتشفات العلمية الحديثة.

إذ إن الذي ثبت من خلال البحوث العلمية أن هذا الإنجيل كتب باللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة، والتي كانت مستخدمة في المحادثة والكتابة في هذا العصر في فلسطين.. وقد أخطأ - مثل - ابن حزم - ابن البطريق^(٣). وكثير من مؤرخي العرب إذ قرروا أن متى قد كتب إنجيله هذا باللغة العبرية^(٤). ولكن هذا الأصل الآرامى لم يصل إلينا، وإنما وصلت إلينا ترجمته إلى اللغة اليونانية، ولا يظهر في هذه الترجمة إلا آثار ضئيلة لللهجة الآرامية التي كتب بها الأصل، وتتمثل هذه الآثار في نحو ست عشرة كلمة آرامية مدونة بحروف يونانية، ولا نستطيع أن نجزم بأن يوحنا - صاحب الإنجيل - هو الذي قام بترجمته كما يقرر ابن حزم في كتابه الفصل، وغيره مثل ابن البطريق، وابن خلدون في مقدمته، ولا ندري لهذا الرأي سنداً يعتد به^(٥). وقد أخطأ ابن خلدون إذ قرر أن هذا السفر ترجم أول ما ترجم إلى اللغة اللاتينية^(٦) لأن الثابت أن أول ترجمة له هي الترجمة اليونانية كما يقول ابن حزم وهي التي وصلت إلينا بدون أصله..

(١) الفصل ٢/٢.

(٢) المواضع السابق

(٣) من أشهر مؤرخي المسيحية، وهو مسيحي من رجال القرن الثالث الهجرى، كان من مترجي الكتب في بلاط الخليفة المأمون، وقد ترجم له من اليونانية كتاب «المجسطى» في الفلك لبطليموس الفلكي، وكتاب «الأصول» في الهندسة لافلاطون، وله كتاب في تاريخ المسيحية انتفعنا منه في دراستنا لتلك الديانة.

(٤) انظر في ذلك - مثلاً - ابن خلدون إذ يقول « كتب متى إنجيله في بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي إلى اللسان اللطيني» انظر المقدمة ٥٩٠/٢ تحقيق على عبد الواحد وافي.

(٥) انظر: على عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة ٧٦.

(٦) وافي، مقدمة ابن خلدون ٥٩٠/٢.

أما عن تاريخ كتابة إنجيل متى فلا نسلم لابن حزم أنه ألف بعد رفع المسيح بتسع سنين، وإذا كنا لا نملك من الوثائق ما يخطئ ابن حزم فيما ذهب إليه، إذ إن باب الاختلاف في تاريخ تدوينه لا يمكن سده كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة غير أن أحدث ما ذهب إليه العلم في هذا الأمر أن تاريخ كتابته يرجع إلى ما بين عام ٨، ٩٠ أو ربما قبل ذلك بقليل^(١). أي حوالي سنة ٦٠ بعد الميلاد كما يذهب إلى ذلك الدكتور علي عبد الواحد وافى^(٢).

أما عن إنجيل مرقس فيقول عنه: «إنه تاريخ ألفه ماركس الهاروني تلميذ شمعون بن الصفا بن توما المسمى باطرة - يعنى بطرس - بعد اثنين وعشرين عاما من رفع المسيح ﷺ وكتبه باليونانية في بلد أنطاكية من بلاد الروم، ويقولون إن شمعون المذكور هو ألفه ثم محى اسمه من أوله ونسب إلى تلميذه ماركس، يكون أربعاً وعشرين ورقة بخط متوسط، وشمعون المذكور تلميذ المسيح^(٣)»..

والرأى الذى أشار فيه ابن حزم أن شمعون (بطرس) هو الذى ألف هذا الإنجيل ثم محى اسمه ونسبه إلى مرقس. أورده المؤرخ المسيحي ابن البطريق عندما قال: «وفى عصر نارون قيصر كتب بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقس عن مرقس فى مدينة رومية، ونسبه إلى مرقس^(٤)».

ويقول موريس بوكاى: «وقد كتب ١. كولمان أنه لا يعتبر مرقس تلميذاً للمسيح.. ومع ذلك فهو يشير إلى هؤلاء الذين قد يشكون فى انتساب هذا الإنجيل إلى مرقس^(٥)». ويرى الباحثون أن تاريخ تأليف هذا الإنجيل يرجع إلى زمن متأخر عن الذى أورده ابن حزم أى حوالي عام ٦٥ ، ٧٠ بعد الميلاد^(٦).

(١) موريس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ٨١.

(٢) الأسفار المقدسة ٧٦.

(٣) الفصل ٣/٢.

(٤) انظر: أبا زهرة، محاضرات فى النصرانية ٥٥.

(٥) دراسة الكتب المقدسة ٨٤.

(٦) انظر: محاضرات فى النصرانية ٥٦.

وقد أخطأ ابن خلدون عندما ذكر أن إنجيل مرقس كتب باللغة اللاتينية لأنه كتب باللغة اليونانية كما يقول ابن حزم ولذلك يقول الشيخ أبو زهرة: لم نر أحداً من كتاب المسيحيين ناقض ذلك^(١).

ومن العيوب التي يذكرها العلماء حول إنجيل مرقس أن صاحبه حرره دون أي اهتمام بالتعاقب الزمني للأحداث. فهذا الإنجيل يضع في بداية روايته (الإصحاح ١ – الآيات من ١٦ إلى ٢٠) حكاية الصيادين الأربعة الذين يدعوهم المسيح لأن يتبعوه قائلاً لهم ببساطة «ستصيرون صيادي الناس» على حين أنهم لا يعرفونه. ويضاف إلى ذلك أن هذا المبشر يبرز افتقاراً كاملاً للمعقولية^(٢).

ويقول الأب روجي: إن مرقس كاتب غير حاذق وأكثر المبشرين ابتذالاً فهو لا يعرف أبداً كيف يحرر حكاية، ويدعم المعلق ملاحظته بذكر فقرة تسرد تكون الاثنى عشر حوارياً. تقول هذه الفقرة حرفياً:

«ثم صعد إلى الجبل ودعا الذين أرادهم فذهبوا إليه، وأقام اثني عشر ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا ويكون لهم سلطان إخراج الشياطين. وجعل الاثنى عشر وفرض على سمعان اسم بطرس» (مرقس الإصحاح ٣ – الآيات من ١٣ – ١٦).

وإذا كان إنجيل مرقس معترفاً به كلية كإنجيل كنسي. فإن هذا لا يقلل من أن الكتاب المحدثين يعدون خاتمة (الإصحاح ١٦ – الآيات من ٩ إلى ٢٠) كمؤلف مضاف، وتشير الترجمة المسكونية إلى هذا بشكل صريح.

وهذه الخاتمة غير موجودة في أقدم مخطوطتين كاملتين للأنجيل المعروفتين باسمي Codex Sinaiticus, Vaticanus الذين يرجع تاريخهما إلى القرن الرابع. ويعلق الأب كانينجسر على هذه الخاتمة بما يلي: «لا بد أنه قد حدث حذف للآيات الأخيرة عند الاستقبال الرسمي (أو عند النشر على العامة) لكتاب مرقس في الجماعة التي ضمنته، ولا متى ولا لوقا، ولا يوحنا بالأحرى، قد عرفوا هذا الجزء المفقود، مع ذلك فقد كانت الفجوة لا تحتمل. وبعد ذلك بكثير وبعد أن جرت بين

(١) محاضرات في النصرانية ٥٥.

(٢) الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة.

الأيدى الكتابات المتشابهة لمتى ولوقا ويوحنا ثم توليف خاتمة محترمة لمرقس وذلك بالاستعانة بعناصر من هنا ومن هناك لدى المبشرين الآخرين. ومن السهل الاستدلال على قطع هذه الفوزرة بالتفصيل خاتمة مرقس (١٦ - من ٩ - ٢٠). ذلك يسمح بتكوين فكرة مادية عن الحرية التي كانوا يعالجون بها النوع الأدبي الخاص بالحديث الإنجيلي حتى أعتاب القرن الثاني».

ويعلق (موريس بوكاي) على هذا الكلام بقوله: يا له من اعتراف صريح بوجود التعديلات التي قام بها البشر على النصوص المقدسة! يا له من اعتراف ذلك الذي تقدمه له تأملات هذا العالم الأهو تي الكبير^(١)...

ويقول ابن حزم عن إنجيل لوقا إنه تاريخ ألفه لوقا الطبيب الأنطاكي تلميذ شمعون باطرة أيضا كتبه باليونانية بعد تأليف مارقس المذكور، يكون من قدر إنجيل متى^(٢).. ومهنة الطب التي ينسبها ابن حزم إلى لوقا ليست موضع إجماع بين الباحثين بل منهم من يرى أنه كان مصورا لا طبيبا، وقد اتفق علماء النصارى أنه كتب باللغة اليونانية كما يقول ابن حزم^(٣)، غير أن ابن خلدون يذكر - خطأ - أنه كتب باللغة اللاتينية^(٤). والمعلقون الذين تهتمهم الموضوعية مضطرون للاعتراف مثلما فعل المعلقون على الترجمة المسكونية عموما، بأن «الاهتمام الأول (لدى لوقا) ليس هو وصف الأمور في دقتها المادية...» إن الأب كانينجسر يقارن روايات «أعمال الرسل» وهي من تأليف هذا اللوقا نفسه، مع روايات أمور مماثلة عند بولس عن المسيح بعد قيامته ويقدم الرأي التالي عن لوقا: لوقا هو أكثر كتاب الأناجيل الأربعة إرهافا في الحس وأكثرهم ميلا للأدب، إنه يتمتع بكل صفات الكاتب الروائي الحقيقي^(٥)..

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ٨٦ - ٨٧.

(٢) الفصل ٣/٢.

(٣) راجع أبا زهرة ٥٨.

(٤) أنظر على وافي: الأسفار المقدسة ٧٧.

(٥) بوكاي ٨٩.

أما إنجيل النصارى الرابع فيقول عنه صاحب الفصل: «تاريخ ألفه يوحنا بن سيذاى من تلاميذ المسيح بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة وكتبه باليونانية، يكون أربعاً وعشرين ورقة بخط متوسط»^(١).

ولهذا الإنجيل خطر وشأن أكثر من غيره فى نظر الباحث، لأنه الإنجيل الذى تضمنت فقراته ذكراً صريحاً لألوهية المسيح فهذه الألوهية يعتبر هو نص إثباتها وركن الاستدلال فيها^(٢).. والواقع أنه كتاب مختلف تماماً عن الأناجيل الثلاثة الأخرى، مما جعل الأب روجى يقول عنه - بعد أن علق على الأناجيل الأخرى - : «إنه عالم آخر»^(٣).

ويتساءل علماء المسيحية - ونحن معهم - : من كاتب هذا الإنجيل؟؟ ويجيب (استادلن) فى العصور المتأخرة: «إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية، ولقد كانت فرقة الوجيهين فى القرن الثانى تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا»^(٤).

ولقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية التى اشترك فى تأليفها خمسمائة من علماء النصارى ما نصّه: «أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنتين من الحواريين بعضهما لبعض. وهما القديسان يوحنا ومتى، وقد ادعى هذا الكاتب المزور فى متن الكتاب أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاقتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه، وإنما لنراف ونشقق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا، ولو بأوهى رابطة،

(١) الفصل ٣/٢.

(٢) أبو زهرة: النصرانية ٥٨.

(٣) بوكاى ٩٠.

(٤) أبو زهرة: النصرانية ٥٩.

ذلك الرجل الفلسفى - الذى ألف الكتاب من الجيل الثانى - بالحوارى يوحنا الصياد الجليل، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى^(١). ونختتم كلامنا على الأناجيل الأربعة بعبارة مهمة ختم بها باحث غربى دراسته عن الأناجيل، وهذه العبارة هى:

«إن فلسفة الإغريق، والقانون الرومانى جعللا الإنجيل لا يمثل حقيقة كما أثرا فى تدوينه، والباحث المنصف فى تاريخ الكنيسة لا يستطيع ولا لحظة واحدة أن ينكر أن آراء مزيفة، وأغراضا غير كريمة، ومقاصد خاطئة، كانت أسبابا رئيسية مسيطرة أحيانا، دفعت إلى هذا التبديل الذى حدث فى الأناجيل^(٢)».

٢ - ما سماه ابن حزم «الإفركسيس» والصحيح أن اسمه كما ذكر ابن خلدون «الإبركسيس» وهو كتاب أعمال الرسل أو تاريخ الرسل لأن كلمة «إبركسيس» صياغة عربية لكلمة Praxis اليونانية ومعناها عمل، ويبدو أن علماء المسلمين أثناء كتابتهم عن المسيحية كانت تصادفهم كلمات لم يتيسر لهم ترجمتها إلى العربية فصاغوها صياغة عربية وأضافوا إليها أحيانا ما يشرحها مثل هذه الكلمة، وكذلك كلمة الفارقليط أى المعزى بتشديد الزاى وكسرها^(٣).. وكتاب الإبركسيس أو أعمال الرسل كما يعرف فى الأوساط العلمية ألفه «لوقا» فى أخبار الحواريين وأخبار صاحبه بولس البنيامينى وسيرهم وقتلهم ويصف ابن حزم النسخة الموجودة فى عصره بأنها كانت خمسين ورقة بخط مجموع^(٤).

٣ - كتاب الوحي والإعلان: أو ما يقال عنه الآن (رؤيا يوحنا) ويصفه ابن حزم بأنه: كتاب فى غاية السخف والركاكة ذكر ما رآه فى الأحلام وإذ أسرى به وخرافات باردة...^(٥).

(١) للموضع السابق

(٢) (نقلا عن د. أحمد شلبي: المسيحية ٢١٥).

(٣) انظر على وافي: مقدمة ابن خلدوان ٥٩٧/٢ (هامش)

(٤) الفصل ٣/٢.

(٥) الفصل ٣/٢.

٤ - الرسائل القانونية: ويطلق عليها الآن (الرسائل الكاثوليكية) وهي سبع رسائل - كما يذكر ابن حزم - ثلاث رسائل ليوحنا بن سيداي، ورسالتان لباطرة شمعون (بطرس الرسول) ورسالة واحدة ليعقوب بن يوسف النجار (يعقوب الصغيرة من الحواريين الاثنى عشر، استشهد سنة ٦٢م) والأخرى لأخية يهوذا (أخو يعقوب الصغير) تكون كل رسالة من ورقة إلى ورقتين في غاية البرد والغثاثة..^(١).

٥ - رسائل بولس: وهي خمس عشرة رسالة تكون كلها نحو أربعين ورقة ورسائل بولس المعترف بها الآن أربع عشر رسالة - وليست خمس عشرة رسالة كما يذكر ابن حزم - وهي: رسالته إلى الرومان، ورسالتاه الأولى والثانية إلى أهل كورنثوس، ورسالته إلى أهل غلاطية، ورسالته إلى أهل إفسوس، ورسالته إلى أهل فيلبى، ورسالته إلى أهل كولوسى، ورسالتاه الأولى والثانية إلى أهل تسالونيكى، ورسالتاه الأولى والثانية إلى تلميذه تيموتاوس، ورسالته إلى تلميذه تيطس، ورسالته إلى تلميذه فيليمون، ورسالته إلى العبرانيين^(٢).

المبحث الثانى: بيان ما فى الأناجيل من تناقض

يورد ابن حزم كثيرا من الأمثلة على التناقض الذى يوجد فى الأناجيل، ونحن نكتفى هنا بذكر بعض هذه النماذج التى وردت فى كتاب «الفصل» مشيرين إلى بعض الذين انتفعوا بتلك الدراسة من العلماء الذين أتوا بعد الإمام ابن حزم.. ومن هذه الأمثلة:

(أ) اختلاف الأناجيل فى نسب المسيح:

ورد نسب المسيح فى إنجيلى متى ولوقا بطريقة تعارض إحداهما الأخرى ويتعجب ابن حزم من متى صاحب الإنجيل الذى يزعم أنه سوف يذكر نسب المسيح ابن داود ابن إبراهيم ثم لم يأت إلا بنسب «يوسف النجار» زوج مريم، ويتساءل:

(١) الفصل ٣/٢.

(٢) راجع على عبد الواحد وافي: مقدمة ابن خلدون ٥٩٣/٢ (هامش)

كيف يقول إنه يذكر نسبة المسيح ثم يأتي بنسبة «يوسف النجار» والمسيح عنده - أى متى - ليس هو ولد يوسف أصلاً، ولا مدخل للمسيح فى هذا النسب أصلاً بوجه من الوجوه إلا أن يجعلوا المسيح ولد يوسف النجار وهم لا يقولون هذا^(١)!! لا جرم أن ما فعله متى يحقق زعم طائفة من اليهود تقول إن المسيح هو ابن يوسف النجار وإلا فكيف يقول أنه يذكر نسب المسيح ثم يأتي بنسب يوسف النجار؟! ويقول ابن حزم: «ولو أنه ذكر نسب أمه مريم لكان لقوله مخرج ظاهر لكنه لم يذكر نسب مريم أصلاً.. ثم لم يستح - متى - من أن يحقق ما ابتدأ به فبعد أن أتم نسب يوسف النجار قال من الرحلة إلى المسيح أربعة عشر أباً فجميع المواليد من إبراهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولوداً، فأكد متى كذبه وأن المسيح ولد يوسف ولا بد ضرورة من أحدهما، وإلا فكيف يكون من الرحلة إلى المسيح أربعة عشر أباً، والمسيح ليس هو ابناً لأحدهم ولا هم آباء له فكيف يكون من إبراهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولوداً ولا مدخل للمسيح فى تلك الولادات إلا كمدخله فى ولادات أهل الصين وأهل الهند.. ولا فرق، هذه فضائح الدهر (...). ونعوذ بالله من الخذلان^(٢)».

وقد تنبه إلى هذا الاعتراض أحد علماء فرنسا فى العصر الحديث عندما قال وهو يمهد للحديث عن نسب المسيح فى الأناجيل: «وبادئ ذى بدء يجب ملاحظة أن هذين النسبين - يعنى ما ذكره متى ولوقا - من جهة الرجال معدوم المعنى فيما يتعلق بالمسيح. ولو كان الضرورى إعطاء المسيح نسباً، وهو وحيد مريم (أمه) وليس له أب بيولوجى، فيجب أن يكون ذلك النسب من جهة مريم فقط^(٣)».

ومن هذا التناقض - الذى نبه إليه ابن حزم - بين الإنجليين فى نسب المسيح: أن متى ينسب المسيح إلى يوسف النجار ثم ينسب يوسف إلى الملوك من ولد

(١) الفصل ٢/٢٧.

(٢) الموضع السابق.

(٣) بوكاى ١٠٥.

سليمان بن داود عليهما السلام أبًا، فأبًا.. ولوقا ينسب يوسف النجار إلى آباء غير الذى ذكر متى حتى يخرجهم إلى ناتان بن داود أخى سليمان بن داود.. ولا بد ضرورة من أن يكون أحد النسبين كذبا فيكذب متى أولوقا أولا بُدَّ أن يكون كلا النسبين كذبا فيكذب (... جميعا، ولا يمكن أن يكون كلا النسبين حقا^(١)).

وهذا الاضطراب الذى وقع فى الأناجيل فى نسب المسيح كان مثار اهتمام لكثير من العلماء فى القديم والحديث، وقد أورد الإمام رحمت الله الهنذى هذا الخلط الذى ورد فى الأناجيل بشيء من التوضيح وبين أن من يقابل بين الأناجيل فى هذا النسب يجد الاختلاف من ستة أوجه:

- ١ - فى متى يوسف بن يعقوب، وفى لوقا أنه ابن هالى.
- ٢ - يعلم من متى أن عيسى من أولاد سليمان بن داود عليه السلام، ومن لوقا أنه من أولاد ناتان بن داود.
- ٣ - يعلم من متى أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورين، ومن لوقا أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير داود وناتان.
- ٤ - يعلم من متى أن شالنتيل بن يَكْنِيَا، ويعلم من لوقا أنه ابن نِيرِي،
- ٥ - يعلم من متى أن اسم ابن زَرْبَابِل أبيهود، ومن لوقا أن اسمه ريسا. والعجيب أن أسماء بنى زربابل مكتوبة فى الإصحاح الثالث من السفر الأول من أخبار الأيام، وليس فيها أبيهود ولا ريسا فالحق أن كُلاً مِنْهُمَا غلط.
- ٦ - من داود إلى المسيح عليه السلام ستة وعشرون جيلا على ما بين متى وواحد وأربعون جيلا على ما بين لوقا^(٢).

وواضح من هذا الاختلاف بين الإنجيليين أحد أمرين:
أولهما: إما أن يكون إنجيل متى لم يكن مشهورا معتبرا فى عهد لوقا إذ لو كان معروفا للوقا لراجعه وما خالف متى تلك المخالفة التى حيرت المحققين من القدامى والمتأخرين^(٣).

(١) الفصل ٢ / ٢٩

(٢) إظهار الحق ١١٤. وقارن - أيضا بين إنجيل متى الإصحاح الأول وإنجيل لوقا الإصحاح ٣: ٢٣ - ٢٨.

(٣) انظر: إظهار الحق ١١٧.

ثانيهما: أن أحد الإنجيليين لم يكون بإلهام بيقين، إذا فرضنا أحدهما صادقا والآخر كاذبا، فالكاذب لا شك لم يكن بإلهام، وإلا كان الإله الذي أوحى به كاذبا، وذلك لا يليق بحسب بدهاة العقل، ولما كان الصحيح منهما غير متيقن فالشك يرد على الاتنين، حتى يثبت الصحيح، ويقوم الدليل على صدقه دون الآخر ومع هذا الشك لا يمكن الاعتقاد بأن ثمة إلهاما، لأن الشك إن اعترى الأصل زال الاعتقاد^(١).

(ب) ويذكر ابن حزم أيضا دليلا على التناقص ما ورد في إنجيل متى (أنه صلب معه لسان أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وكانا يشتمانها ويتناولانه محركين رؤسهما ويقولان يا من يهدم البيت ويبنيه في ثلاث، سلم نفسك إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب^(٢)).

وفى إنجيل مرقس (أنه صلب معه لسان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله والليذان صلبا معه كانا يستعجزانه^(٣)).

وفى إنجيل لوقا (وكان أحد اللصين المصلوبين معه يسبه ويقول إن كنت أنت المسيح فسلم نفسك وسلمنا فأجابه الآخر وكشر عليه وقال أما تخاف الله وأنت في آخر عمرك وفى هذه العقوبة فكوفئنا بما استوجبنا وهذا لا ذنب له، ثم قال ليسوع اذكرنى إذا نلت ملكك فقال له يسوع آمين أقول لك اليوم تكون معى فى الجنة^(٤)).

ويعلق ابن حزم على هذه النقول الإنجيلية بقوله: «إحدى القضيتين كذب بلاشك لأن متى ومرقس أخبرا بأن اللصين جميعا كانا يسبانه، ولوقا يخبر بأن أحدهما كان يسبه والآخر كان ينكر على الذى يسبه ويؤمن به، وليس يمكن ها هنا أن يدعى أن أحد اللصين سبه فى وقت وآمن به فى آخر، لأن سياق خبر لوقا يمنع من ذلك ويخبر أنه أنكروا على صاحبه سبه إنكار من لم يساعده قط على ذلك وكلهم متفق على أن كلام

(١) أبو زهرة: النصرانية ١٠١.

(٢) متى ٢٧ : ٣٨ - ٤٠.

(٣) راجع مرقس ١٥ : ٣٧ - ٣٠.

(٤) راجع لوقا ٢٣ : ٣٧ - ٣٩ - ٤٤.

اللصين وهم مصلوبون على الخشب فوجب ضرورة أن لوقا كذب أو كذب من أخبره أو أن متى كذب وكذب مرقس أو الذى أخبره ولا بد^(١)».

وقد ذكر الشيخ رحمه الله الهنذى فى كتابه هذا الاختلاف وقال إن مترجمى التراجم الهنذية المطبوعة سنة ١٨٣٩م وسنة ١٨٤٠م وسنة ١٨٤٦م حرفوا عبارة متى ومرقس وبدلوا المثنى بالمفرد لرفع الاختلاف، وهذه سجية لا يرمى تركها منهم. بيد أن الترجمة الحديثة للأناجيل الآن خلت من هذا التبديل الذى يشير إليه الشيخ فى الطبعات المذكورة، والاختلاف باق كما هو يتحدى القوم..

(جـ) ومما يؤكد تناقض الأناجيل عند ابن حزم ما ورد فى إنجيل متى أن مريم المجدلية ومريم الأخرى لما وصلت إلى القبر نزل ملاك الرب ودرج الحجر عن القبرة، وجلس عليه وقال، لا تخافا وانهبا سريعا بينما يذكر مرقس أنهما وسالومة لما وصلن إلى القبر رأين أن الحجر مدحرج، ولما دخلن القبر رأين شابا جالسا عن اليمين. أما لوقا فيبين أنهن لما وصلن وجدن الحجر مدحرجا فدخلن ولم يجدن جسد المسيح فصرن محتررات، فإذا رجلان واقفان بثياب براقية^(٢)».

كما « يعلم من متى» أن الملك لما أخبر المرأتين أنه قد قام من الأموات ورجعنا لاقاهما عيسى عليه السلام فى الطريق وسلم عليهما، وقال انهبا وقولا لإخوتى أن يذهبوا إلى الجليل، وهناك يروننى، ويعلم من لوقا أنهن لما سمعن من الرجلين رجعن وأخبرن الأحد عشر وسائر التلاميذ بهذا كله، فلم يصدقوهن. وكتب يوحنا أن عيسى لقي مريم عند القبر^(٣)».

ولقد قدم الأب روجى فى كتابه «مقدمة إلى الإنجيل» (ص١٨٢) هذه القصة - ظهور المسيح بعد قيامته - كمثال للفوضى والاختلاف والتناقض الذى يسود الأناجيل فيقول: لا تتطابق تماما فى الأناجيل الثلاثة المتوافقة قائمة النساء الآتين إلى القبر.

(١) الفصل ٢ / ٥٧.

(٢) إظهار الحق ١٢٧.

(٣) الموضع السابق.

فليس هناك إلا امرأة واحدة في إنجيل يوحنا وهي مريم المجدلية ولكنها تتحدث بضمير الجماعة كما لو كانت لها رفيقات فهي تقول: «لا نعرف أين وضعوه».

أما في إنجيل متى فملاك هو الذى يعلن للنساء أنهن سيرين المسيح بالجليل. ولكن المسيح بعد لحظة يقابلهن على مقربة من القبر. ولاشك أن لوقا قد شعر بهذه الصعوبة وعدل قليلا فى مصدره، ويقول الملاك: «تذكرون كيف تحدث إليكن عند ما كان بالجليل..» والواقع أن لوقا لا يشير إلا إلى ذمور المسيح ثلاث مرات بعد قيامته..» - «أما يوحنا فيقول إنه ظهر مرتين على ثمانية أيام بمجمع بيت القدس، ثم فى المرة الثالثة يظهر بالقرب من البحيرة.. إذن بالجليل. وأما متى فإنه يتحدث عن مرة واحدة لظهور المسيح بالجليل» ويستبعد المعلق من هذه الدراسة خاتمة إنجيل مرقس التى عن ظهور المسيح لأنه يعتقد أنها «كتبت بقلم آخر^(١)».

ويلاحظ أ. كولمان فى كتابه «العهد الجديد» التناقضات بين لوقا ومتى: فالأول يقول بظهور المسيح فى الناصرة أما الثانى فيقول إنه ظهر بالجليل.

أما فيما يخص التناقض بين لوقا ويوحنا فلنذكر أن الحدث الذى يرويهِ يوحنا (الإصحاح ٢١، الآيات من ١ إلى ١٤) عن ظهور المسيح للصيادين بعد قيامته على شاطئ بحيرة طبرية وحصولهم بعد ذلك على سمك كثير حتى إنهم لا يستطيعون حمله، ليس إلا رواية معادة لنفس حدث معجزة الصيد بنفس المكان فى حياة المسيح فى رواية لوقا (الإصحاح الخامس، الآيات من ١ إلى ١١).

ومن عجب أن الأب روجى فى كتابه - مقدمة إلى الإنجيل - يرى «أن هذا التفكك، هذا الغموض، هذا الاختلال يبعث على الثقة عنده» فكل ذلك يثبت أن المبشرين لم يتشاوروا فيما بينهم وإلا أعوزهم أن يوفقوا بين ما كتبوا.

ويتساءل بوكاى: «كيف ننتهى إلى إقامة هذا الفرض فى مواجهة هذه الكثير من التناقضات والأمور غير المعقولة فى رواية الأحداث^(٢)؟»

(١) بوكاى: الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ١٢١.

(٢) المرجع السابق ١٢٣.

(د) وقد يوجد التناقص في الإنجيل الواحد كما ورد في إنجيل متى (١٦ : ١٩ - ٢٠) أن المسيح قال لبطرس إليك أبرأ بمفاتيح السموات فكل ما حرمته في الأرض يكون محرما في السموات وكل ما أحلته على الأرض يكون حلالا في السموات). وبعد هذا الكلام بأسطر قال المسيح لبطرس نفسه: «اتبعني يا مخالف ولا تعارضني فإنك جاهل بمرضاة الله وإنما تدري مرضاة الآدميين»

ويقول ابن حزم: «في هذا الفصل على قلته (...) سواتان عظيمتان إحداهما أنه برىء إلى باطرة (بطرس) بمفاتيح السموات وولاه خطة إلهية التي لا تجوز لغير الله تعالى وحده لا شريك له من أن كل ما حرمه في الأرض كان حراما في السموات وكل ما حلله في الأرض كان حلالا في السموات. والثانية أنه إثر براءته إليه بمفاتيح السموات وتوليته خطة الربوبية (إما شريكا لله تعالى في التحريم والتحليل وإما منفردا دونه ﷺ بهذه الصفة) قال له في الوقت أنه مخالف معارض له جاهل بمرضات الله ﷻ لا يدري إلا مرضات الآدميين في الله لئن كان صدق في الآخرة لقد حزق في الأولى إذ ولى ما لا ينبغي إلا الله تعالى جاهلا بمرضات الله تعالى مخالفا له لا يدري إلا رضاء الناس، وإن هذه لسوأة الأبد إذ من هذه صفته لا يصلح أن يبرأ إليه بمفاتيح (...) أو بيت زبل، لئن كان صدق وأصاب في الأولى لقد كذب في الثانية والله ما قال المسيح قط شيئا مما ذكروا عنه في الأولى لأنها مقالة كافر شر خلق الله - ﷻ - وما يبعد أنه قال له الكلام الثاني...»^(١).

ثم يذكر ابن حزم أن هذا النص يتعارض أيضا مع نص آخر في الإنجيل فيقول: ثم عجب ثالث أننا قد ذكرنا قبل أن في الباب الثاني عشر من إنجيل متى أن المسيح أشرك مع باطرة في هذه الخطة التي أفرده بها ها هنا سائر الانثى عشر تلميذا وفي جملتهم السارق الكافر الذي دل عليه اليهود برشوة ثلاثين درهما أخذها منهم وأنه قال لجميعهم (ما حرمتموه في الأرض كان حراما في السموات وما حللتموه

(١) الفصل ٤٦/٢.

فى الأرض كان حلالا فى السموات) ويعلق ابن حزم على هذا النص الأخير قائلا: «فباليت شعرى كيف يكون الحال إن اختلفوا فيما ولاهم من ذلك، فأحل بعضهم شيئا وحرمه آخر منهم، كيف يكون الحال فى السموات وفى الأرض، ولقد يقع أهلها مع هؤلاء (...) فى شغل وفى حرمة وحل معاً، فإن قيل لا يجوز أن يختلفوا قلنا سبحان الله وأى خلاف أعظم من تحليل يهودا إسلامه إلى اليهود وأخذه ثلاثين درهما رشوة على ذلك!! ولعمري لقد رذلت هذه المنزلة عند هؤلاء الأراذل حقا إذ يليها السراق ومن لا خير فيه.. - تعالى الله - والله لو دكت الجبال والأرض وخرت السموات العلى، وصعق بكل ذى روح عند سماع كفر هؤلاء الخساس لما كان ذلك بكبير^(١)».

وقد أورد الشيخ رحمه الله الهنذى هذا التناقض فى كتابه، ونقل ما ذكره علماء البروتستانت فى رسائلهم من أقوال قدماء المسيحيين فى ذم بطرس فمنها أن بطرس كان به داء التجبر والمخالفة الشديدة وكان ضعيف العقل، ومنها أن (أكستائين) يقول: «إنه كان غير ثابت لأنه كان يؤمن أحيانا ويشك أحيانا» ويعلق الشيخ رحمه الله بقوله: من كان متصفا بهذه الصفات أىكون مالكا لمفاتيح السموات أو يكون الشيطان بحيث لن تقوى عليه أبواب النيران^(٢)؟.

(هـ) جاء فى إنجيل (٥: ٣١) (ولا أقوى أن أفعل من ذاتى شيئا لكن أحكم بما أسمع وحكمى عدل لأنى لست أنفذ إرادتى إلا إرادة أبى الذى بعثنى فإن كنت أشهد لنفسى فإن شهادتى غير مقبولة ولكن غيرى يشهد لى) ثم قال فى الآية الرابعة عشر من إنجيل يوحنا (إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق) ولا ريب أن الخلط واضح بين النصين^(٣).

(و) جاء فى إنجيل متى (١٢: ٤٠) (فكما أن يونس النبى كان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، وكذلك يكون ابن الإنسان فى جوف الأرض ثلاثة أيام بلياليها).

(١) الموضع السابق

(٢) إظهار الحق ١٣١.

(٣) راجع الفصل ٧٠/٢

وفى جميع أناجيلهم أنه دفن قرب مغيب الشمس من يوم الجمعة مع دخول ليلة السبت وقام من القبر قبل الفجر من ليلة الأحد فلم يبق فى جوف الأرض إلا ليلة وبعض أخرى ويوما ويسيرا من يوم ثان فقط، وهذه كذبة لإخفاء بها فيما أخبر به المسيح لا بد منها أو كذب أصحاب الأناجيل^(١)».

(ز) ورد فى إنجيل^(٢) متى (فبينما يسوع يقول هذا إذ أقبل إليه أحد أشرف ذلك الموضع وقال له إن ابنتى توفيت وأنا أربع إليك أن تذهب إليها وتمسها بيدك لتحيى) ثم ذكر أنه (لما دخل بيت القائد وأبصر بالنوايح والبواكى قال لهن اسكتن فإن الجارية لم تمت ولكنها راقدة فاستهزأت الجماعة به ولما خرجت الجماعة عنها دخل وأخذ بيدها ثم أقامها حية) وذكر هذه القصة لوقا فى إنجيله (٨-٤١: ٥٦) فقال: «إبائها قال له قد أشرفت على الموات وأنه نهض معه فلقيه رسول يخبره بأن الجارية قد ماتت فعلا تعنه^(٣) - وأن المسيح قال لأبيها لاتخف وآمن فتحيى فلما بلغا البيت لم يدخل معه فى البيت إلا باطرة ويوحنا ويعقوب وأبو الجارية وكانت الجماعة تبكى وتلتدم فقال لهم لا تبكوا فإنها راقدة وليست ميتة فاستهزؤوا به لمعرفتهم بموتها فأخذ بيدها ودعاها وقال يا جارية قومى فانصرف عنها زوجها وقامت من وقتها وأمر أن تطعم طعاما وجاء أبواها وأمرهما أن لا يعلما أحدا بما فعل) وذكر هذا الباب الخامس من إنجيل مرقس..

ويقول ابن حزم تعليقا على هذه القصة التى روتها الأناجيل: «فى هذا الفصل مصائب جمّة أحدها كان يكفى أنه إنجيل موضوع مكذوب:

أولها: حكايتهم من المسيح أنه كذب جهارا إذ قال لهم لم تمت وإنما هى حية راقدة ليست ميتة فإن كان صادقا فى أنها ليست ميتة فلم يأت بأية ولا بعجيبية وحاشا لله أن يكذب نبي فكيف إله، وليس لهم أن يقولوا إن الآية هى إبرأؤها من

(١) راجع الفصل ٢ / ٤٤.

(٢) راجع متى ٩: ١٩ - ٢٣.

(٣) فى الترجمة الحديثة: «فلا تتعب المعلم»

الإغماء لأن في نص إنجيلهم أنه قال لأبيها آمن فتحيى ابنتك فلا بد من الكذب في أحد القولين.

والثانية: أن متى ذكر أن أباه جاء إلى المسيح وهي قد ماتت وأخبره بموتها ودعاه ليحييها ولوقا يقول إن أباه أتى إلى المسيح وهي مريضة لم تمت وأتى به ليبريها بعد وأن الرسول لقيه في الطريق وقال له لا تعنه فقد ماتت فأخذ النذلين كاذب بلاشك ولا يجوز أخذ الدين على كذاب^(١).

المبحث الثالث: بيان ما في الأناجيل من كذب

وهذا مبحث يطول استقصاؤه، فقد ذكر الإمام ابن حزم عشرات الأمثلة على الكذب الذي تضمنه الأناجيل بين جناباتها.. مما يدل دلالة قاطعة على أنها موضوعة باطلة، خالية من الوحي والإلهام كما يزعم أصحابها.. ومن هذه الأمثلة التي أوردها ابن حزم في كتابه الفصل دليلا على الكذب الذي تشتمل عليه الأناجيل ما يلي:

(أ) ماورد في إنجيل متى^(٢): أن المسيح جمع إلى نفسه اثني عشر رجلا من تلاميذه وأعطاهم سلطانا على الأرواح النجسة أن ينفوها وأن يبرئوا من كل مرض، وذكر من هؤلاء التلاميذ يهوذا الاسخريوطى الذي دل على المسيح بعد ذلك.. والإمام ابن حزم ينكر أن يعطى المسيح - ﷺ - هذا السلطان لأناس فيهم يهوذا الذى صرح الإنجيل بأنه هو الذى دل عليه بعد ذلك اليهود حتى أخذوه وصلبوه بزعمهم وضربوه بالسياط ولطموه واستهزؤا به وقد كذبوا - لعنهم الله - فكيف يجوز أن يقرب الله تعالى ويعطى السلطان على الجن والإبراء من كل مرض من يدري أنه هو الذى يدل عليه ويكفر بعد ذلك؟! هذا مع قول يوحنا في إنجيله أن يهوذا المذكور كان سارقا وأنه كان يخطف كل ما كان يهدى إلى المسيح ويذهب به، فلا بد ضرورة من أحد وجهين بلا ثالث أصلا: إما أن يكون المسيح اطلع على ما اطلع عليه يوحنا

(١) الفصل ٢/٢٥.

(٢) الفصل العاشر

من سرقة يهوذا وخبث باطنه وأعطاه مع ذلك الآيات والمعجزات وجعله واسطة بينه وبين الناس وجعله أن يحرم ويحلل فيكون ما حرم وحل محراماً ومحلاً في السموات؛ فهذه مصيبة وتوقيع بالكفار، وتقديم لمن لا يستحق، وسخرية بالدين، وليس هذه صفة الإله ولا من فيه خير.. أو يكون خفى على المسيح من خبث نية يهوذا ما عرف غيره فهذه عظمة أن تكون الإله يجهل ما خلق، فهل سمع قط بأحمق من هذه القصص وممن يعتقدونها حقاً؟!؟!

(ب) وفي إنجيل متى (١٧: ١٩) أن المسيح قال لتلاميذه (لئن كان لكم إيمان على قدر حبة الخردل لتقولن للجبل ارحل من هنا فيرحل ولا يتعاصى عليكم شيء) وقبله متصلاً به أن تلاميذه قالوا له لم عجزنا نحن عن إبرائه؟ قال لتشككم) وفي إنجيل يوحنا (١٤: ١٢) أن المسيح قال لتلاميذه: (من آمن بي سيفعل الأفعال التي أفعلها أنا سيفعل أعظم منها)..

ويناقش ابن حزم كلام الأناجيل بقوله: «... لا يخلو التلاميذ المذكورون - ثم الأشقياء بعدهم إلى اليوم - من أن يكونوا مؤمنين بالمسيح أو غير مؤمنين ولا سبيل إلى قسم ثالث فإن كانوا مؤمنين فقد كذب المسيح فيما وعدهم به في هذه الفصول جهاراً، وحاشا له من الكذب، وما منهم أحد قط قدر أن تأتمر له ورقة فكيف على قلع جبل والبقائه في البحر؟ وإن كانوا غير مؤمنين به فهم بإقرارهم هذا كفار ولا بد أن يجيبوا إذا سألناهم أفي قلوبكم مقدار حبة خردل من إيمان أم لا؟ وتؤمنون بالمسيح أم لا؟ فإن قالوا: نعم نحن مؤمنون به، والإيمان في قلوبنا، قلنا: كذب المسيح - يقينا - فيما أخبر به من أن من في قلبه مقدار حبه خردل من إيمان يأمر الجبل بأن ينقل فينقل، والله ما منكم أحد يقدر على قلع جبل من موضعه، وإن قالوا: ليس في قلوبنا قدر حبة خردل من إيمان، ولا نحن مؤمنون به، قلنا: صدقتم والله حقاً: ﴿ وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف) صدق الله بعبارة وكذب متى وباطرة (بطرس) ويوحنا ومرقس ولوقا وسائر النصارى الكذابون^(١)..

(١) الفصل ٣٨/٢.

(٢) الفصل ٤٩/٢.

وقد ذكر الإمام رحمه الله الهندي هذه النصوص وعلق عليها بقوله: من قال لهذا الجبل إلخ.. عام لا يختص بشخص دون شخص، وزمان دون زمان، وكذا قوله: من يؤمن بي عام لا يختص بشخص دون شخص ويزمان، وتخصيص هذه الأمور بالطبقة الأولى لا دليل عليه غير الادعاء البحث فلا بد أن يكون الآن أيضا من قال لجبل انطرح في البحر ولا يشك في قلبه فيكون له مهما قال، وأن يكون من علامة من آمن بالمسيح في هذا الزمان أيضا الأشياء المذكورة.. وأن يفعل مثل أفعال المسيح بل أعظم منها، والأمر ليس كذلك، وما سمعنا أن أحدا من المسيحيين فعل أفعالا أعظم من أفعال المسيح لا في الطبقة الأولى ولا بعدها، فقوله ويعمل اعظم منها غلط يقينا لا مصداق له في طبقة من طبقات المسيحيين، والأعمال التي تكون من أعمال المسيح ما صدرت عن الحواريين وغيرهم من الطبقات التي بعدهم، وعلماء البروتستانت معترفون بأن صدور خوارق العادات بعد الطبقة الأولى لم يثبت بدليل قوى، ورأينا في الهند عمدة زمرة المسيحيين أعنى العلماء من فرقة الكاثوليك والبروتستانت يجتهدون في تعلم لغتنا الأوردية مدة ولا يقدرّون على التكلم بهذه اللغة تكلما صحيحا، ويستعملون صيغ المذكر في المؤنث، فضلا عن إخراج الشياطين وحمل الحيات وشرب السموم وشفاء المرضى، فالحق أن المسيحيين المعاصرين لنا ليسوا بمؤمنين بعبسى ﷺ حقيقة، ولذلك ترى الأمور المذكورة مسلوّبة عنهم..^(١)

(ج) وفي إنجيل متى أن المسيح ﷺ قال لتلاميذه: (إن دخول الجمل في سم الخياط أيسر من دخول الغنى في ملكوت الله...^(٢))

ويقول ابن حزم: « هذا قطع من كلامه بأن كل غنى فإنه لا يدخل الجنة أبداً، وفي أتباعه أغنياء كثيرة، وما رأينا - قط - أمة أحرص على جمع المال من الدراهم وغير ذلك وادخاره ومنعه دون أن ينتفعوا منه بشيء ولا أن يتصدقوا منه بشيء من الأساقفة والقسيسين والرهبان، في كل دير، وكل كنيسة، وفي كل بلد، وكل وقت،

(١) إظهار الحق ١٦٤.

(٢) متى ١٩ : ٢٤.

فعلى موجب كلام إلههم أنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط، فهذا والله حق وإنا على ذلك من الشاهدين^(١)».

(د) ويذكر ابن حزم أيضا دليلا على كذب الإنجيل ما جاء فى إنجيل مرقس أن (بطرس) قال ليسوع المسيح ها نحن قد خلينا الجميع واتبعناك فأجابه يسوع وقال له (آمين أقول لكم ليس من أحد ترك بيتا أو إخوة وأخوات أو والدًا أو والدة أو أولادا لأجل الإنجيل إلا يعطى مائة ضعف مثله الآن فى هذا الزمان من البيوت والإخوة والأخوات والأمهات والأولاد والفدادين مع التبعات وفى العالم الكائن الحياة الدائمة^(٢)).

ويعلق ابن حزم رضى الله عنه بقوله: «هذا موعده كاذب مضمون لا يمكن الوفاء به، وهبك يخرجون هذا على أنه يعوض هذا من أهل دينه أولادًا وإخوة وأخوات وأمهات، كيف الحيلة فى وعده من آمن به وترك ماله أن يعوض عن الفدان الذى يتركه مائة فدان، وعن البيت مائة بيت، الآن عاجلا فى الدنيا سوى ماله فى الآخرة^(٣)».

(هـ) ومن الأمثلة التى أوردها ابن حزم على الكذب والبهتان الذى يوجد بأناجيل النصارى ما ورد فى إنجيل يوحنا، (ويوما آخر رأى يحيى المسيح مقبلا إليه فقال هذا صار خروف الله^(٤)).

ويقول ابن حزم: هذه طامة أخرى بينما كان كلمة الله وابن الله وإلهها يخلق صار خروف الله، وحاشا لله أن يضاف إليه خروف إلا على سبيل الخلق والملك إنما يضاف الخروف إلى من يتخذة للأكل أو الذبح أو لمن يربيه للعجلة أو لصبى يلعب به ويصبغه بالحنا، وتعالى الله ^{عجل} عن كل هذا، فصح أنها من عمل عيار مستخف^(٥)».

(١) الفصل ٦٠/٢.

(٢) متى ١٩ : ٢٨ - ٣٠.

(٣) الفصل ٦١/٢.

(٤) فى الترجمة الحديثة (يوحنا ٢٩/١): «هذا حمل الله»

(٥) الفصل ٦٤/٢.

(و) وفي إنجيل يوحنا أن المسيح قال: (أنا أميت نفسي وأنا أحييها) ويعلق ابن حزم على العبارة بقوله: فليت شعري كيف يمكن أن يحيى نفسه وهو ميت^(١)؟! .!

المبحث الرابع: بيان إبطال ألوهية المسيح من نصوص أناجيلهم

أورد الإمام ابن حزم بعض النصوص التي وردت في الأناجيل وتبطل دعوى ألوهيته ومن هذه الأمثلة:

(أ) ما ورد في إنجيل متى ومرقس^(٢) ولوقا أنه قبل أخذه (سجد ودعا وقال يا أبى كل شيء عندك ممكن فاعفنى من هذه الكأس لكن لا أسأل إرادتك) زاد لوقا في إنجيله قال (فترأى له ملك السيد معزيا له فأطال صلاته حتى سال العرق منه وتساقطت نقطة كتساقط نقط الدم إذا انسكب في الأرض) وفي إنجيل متى ومرقس^(٣) (أنه صاح بأعلى صوته وهو مصلوب إلهى إلهى لم أسلمتنى ثم فاضت نفسه).

ويقول ابن حزم - عليه سحائب الرحمة - «فيا للناس أهذه صفة إله؟ وهل يحتاج الإله إلى ملك يعزيه؟ وهل يدعو الإله فى أن يصرف عنه كأس المنية؟ وإله يعرق من صعوبة الحال إذا أيقن بالموت؟ وإله يسلمه إله؟ أفى الحمق شيء يفوق هذا؟ فإن قالوا لنا: إنما هذا كله خبر عن الطبيعة الناسوتية، قلنا لهم: أنتم تقولون فى كل هذا فعل المسيح، وقال المسيح والمسيح عندكم طبيعتان ناسوتية ولا هوتية، وعند اليعقوبية منكم طبيعة واحدة وكلكم تقولون إن اللاهوت اتحد بالناسوت، فأنتم كذبتهم وأنتم طرفتم إلى هذا وأنتم أضفتم كل هذا إلى اللاهوت، وإنما كان الحق على أصلكم هذا الملعون أن تقولوا: فعل نصف المسيح، قال نصف المسيح، فعلى كل حال قد كذبتهم... وفي هذا كفاية لمن عقل^(٤)».

(١) الفصل ٧٣/٢.

(٢) انظر متى ٢٦ : ٣٩ ومرقس ١٤ : ٣٥ - ٣٦.

(٣) متى ٢٧ : ٤٦ ومرقس ١٥ : ٣٤.

(٤) الفصل: ٦٦/٢.

(ب) وفى إنجيل لوقا^(١): (فلما بلغوا إلى الموضع الذى يدعى الأجرد صلبوه فيه وصلبوا معه السارقين العابثين عن يمينه وشماله فقال يسوع يا أبتاه اغفر لهم لأنهم يجهلون ما يصنعون ولا يدرون فعلهم).

ويعلق أبو محمد بن حزم بقوله: فى هذا الفصل شنعتان عظيمتان على النصرارى كافيتان فى بيان فساد كل ما هم عليه جهارا:

أولها: أن نسألهم فتقول لهم: المسيح إله عندكم أم لا؟ فمن قولهم، نعم، فيقال لهم: فإلى من من دعا ورفع طلبته؟ فإن كان دعا غيره فهو إله يدعو إليها آخر، وهذا شرك وتغاير بين الآلهة، وهم لا يقولون هذا، وإن كان دعا نفسه فهذا هوس، إنما حكمة أن يقول: قد غفرت لكم وهم يصرحون فى الأناجيل بأنه يغفر ذنوب من شاء فأين كان عن هذه الصفة إذ دعا إليها غيره.

والثانية: أن يقال لهم هل أجيبت دعوته هذه أم لا؟ فإن قالوا: لم تجب دعوته قلنا ليس فى الخزن أكثر من إله يدعو فلا يستجاب له، ولا فى النحس فوق هذا، وعلى هذا فما بيده من الربوبية إلا (...). كما بيد سائر المخلوقين يدعو فيجاب مرة ولا يجاب مرة، وإن قالوا بل أجيبت دعوته قلنا لهم فاعلموا أنكم وأسلافكم كلكم فى سبكم اليهود الذين صلبوه ظالمون لهم، وكيف يستحلون سب قوم قد غفر لهم إلههم وأسقط عنهم الملامة فى صلبهم له^(٢)؟.

(ج) وفى إنجيل متى أن (المسيح قال فمن ذلك اليوم وذلك الوقت لا يدرك أحد ما بعده لا الملائكة ولا أحد غير الأب وحده) وفى إنجيل مرقس أن المسيح قال (السموات والأرض تذهب وكلامى لا يبدي أبدا، ومن ذلك اليوم وتلك الساعة لا يدرك أحد ما بعده ولا الملائكة فى السماء ولا ابن الإنسان ما عدا الأب) ويقول ابن حزم: - رضى الله عنه - هذا الفصل يوجب ضرورة أن المسيح هو غير الله تعالى لأنه أخبر

(١) لوقا ٢٣: ٣٣ - ٣٤.

(٢) الفصل ٦٥/٢.

أن ها هنا شيئاً يعلمه الله تعالى ولا يعلمه هو ، وإذا كان بنص إنجيلهم : الابن لا يعلم متى الساعة والأب يعلم متى هي ، فبالضرورة القاطعة نعلم أن الابن غير الأب ، وإذا كان ذلك فهما اثنان متغايران أحدهما يجعل ما لا يجهمه الآخر ، وهذا الشرك الذى عليه يحومون وهذا ما يبطله العقل أن يكون إلهما أحدهما ناقص ، فصح ضرورة أن من هو غير الله تعالى فهو مخلوق مريبوب وبطل هوسهم وتخليطهم ، أو يكذبوا المسيح فى هذا الفصل ولا بد^(١).

(د) وفى إنجيل متى أن المسيح قال لهم (أنا ذاهب إلى أبى وأبيكم وإلهى والهكم) فما نرى للمسيح من البنوة لله تعالى إلا ما لسائر الناس ولا فرق ، فمن أين حصره بأنه ابن الله - عَلَى - دون سائرهم كلهم إلا إن كذبوه فى هذا القول فليختاروا أحد الأمرين ولا بد.. ثم من أين خصوا كل من سوى المسيح بأن الله تعالى إلهه ولم يقولوا إن الله إله المسيح كما قال هو بلسانه فلا بد ضرورة من الإقرار بأن الله هو إله المسيح ، وأن سائر الناس أبناء الله تعالى أو يكذبوا المسيح فى نصف كلامه وحسبك بهذا فساداً وضلالاً^(٢)...

ثم يقول ابن حزم : كثير ما يحكون فى جميع الأناجيل فى غير ما موضع أنه إذا أخبر المسيح عن نفسه سمي نفسه ابن الإنسان ومن المحال والحمق أن يكون الإله ابن إنسان أو يكون ابن إله وابن إنسان معاً ، وأن يلد إنسان إلهما ما فى الحمق والمحال والكفر أكثر من هذا^(٣).

إذا كان ابن حزم فى كتابه الفصل قد أورد النصوص التى تنفى ألوهية المسيح فإنه يورد كذلك النصوص الإنجيلية التى تثبت له النبوة والرسالة..

(أ) من ذلك ما يرويه لوقا^(٤) فى إنجيله : (أن العامة كانت تشهد للمسيح وتعجب لقوله وتقول أما هذا ابن يوسف النجار فقال لهم نعم قد علمت أنكم ستقولون لى يا

(١) الفصل ٥٦/٢.

(٢) الفصل ٣٦/٢ ط صبيح.

(٣) الفصل ٣٧/٢ ط صبيح.

(٤) لوقا ٤ : ٢٤.

طبيب داو نفسك وافعل فى موضعك كما بلغنا أنك فعلته بكفر ناحوم أمين أقول لكم إنه لا يقبل أحد من الأنبياء فى موضعه).

فالعبارة الأخيرة تدل دلالة واضحة على نبوته ﷺ، ولذلك يقول ابن حزم: وهذا مما أفلتت من تبديلهم وأبقاه الله ﷻ حجة عليهم والحمد لله رب العالمين^(١).
(ب) وفى إنجيل يوحنا^(٢) أنه لما أطمع الخمسة آلاف إنسان من خمس أرغفة وحتوتين وفضل من شبعهم اثنتا عشرة سلة من خبز قال الجماعة هذا النبى حقا.
ويقول الإمام ابن حزم: فيا للعجب هلا قالوا فيه مثل هذا القول ولو مرة واحدة^(٣)!!.

المبحث الخامس: العوامل التى أدت إلى التحريف

ولكن ما العوامل التى أدت إلى تحريف الأناجيل وفسادها؟
يرى الإمام ابن حزم فى كتابه الفصل أن هذا الاضطراب الذى فى كتب النصارى مرده لأمرين هاميين:
أولها: الاضطهادات التى وقعت على المسيحيين..
ثانيهما: اعتناق أصحاب العقائد الوثنية للديانة المسيحية..

- الاضطهادات وأثرها على الأناجيل:

ويقول صاحب الفصل عن هذا الأمر: (وأما النصارى فلا خلاف بين أحد منهم ولا من غيرهم فى أنه لم يؤمن بالمسيح فى حياته إلا مائة وعشرون رجلا فقط هكذا فى الإفرسيس - أعمال الرسل - ونسوه، منهم امرأة وكيل هرديوس وغيرها كن ينفق عليه أموالهن هكذا فى نص إنجيلهم، وأن كل من آمن به فإنهم كانوا مستترين مخافين فى حياته - المسيح - وبعده يدعون إلى دينه سرا ولا يكشف أحد منهم وجهه إلى الدعاء

(١) الفصل ٢/٥٩.

(٢) يوحنا ٦: ١٠-١٣.

(٣) الفصل ٢/٧٠.

إلى ملته، ولا يظهر دينه، وكل من ظفر به منهم قتل إما بالحجارة كما قتل يعقوب بن يوسف النجار وأشطييين الذي يسمونه بكر الشهداء وغيره، وإما صلب كباطرة، وأندرياس أخوه، وشمعون أخو يوسف النجار، وبولس وغيرهما أو قتلوا بالسيف كما قتل يعقوب أخو يوحنا وطومار ويهوذا بن يوسف النجار ومتى، أو بالنم كما قتل يوحنا بن سيذاى.. فبقوا على هذا الحالة لا يظهر البتة ولا لهم مكان يأمنون فيه مدة ثلاثمائة سنة بعد رقع المسيح ﷺ، وفى خلال ذلك ذهب الإنجيل المنزل من عند الله ﷻ إلا فصولا يسيرة أبقاها الله تعالى حجة عليهم وخزيا لهم. فكانوا كما ذكرنا إلى أن تنصر قسطنطين الملك فمن حينئذ ظهر النصارى وكشفوا دينهم..^(١).

والحق أن اضطهاد النصارى الذى يتحدث عنه ابن حزم بدأ منذ عهد مبكر، ولعل أبشع حركات الاضطهاد التى عاناها المسيحيون فى القرن الأول تلك التى أنزلها بهم نيرون الطاغية (٦٨م) فقد ألقى بعضهم للوحوش الضارية تنهش أجسامهم وأمر فطليت أجسام بعضهم بالقار وأشتعلت لتكون مصابيح بعض الاحتفالات التى يقيمها نيرون فى حدائق قصره^(٢).

وفى القرن الثانى كان المسيحيون يعتبرون أنجاسا لا يسمح لهم بدخول الحمامات والمحال العامة وكانوا - كما حصل فى عهد نيرون - يلقون للوحوش الضارية تفترسهم، فى مدرج عام يضم خصومهم الذين يحضرون للتلهى بمشاهدة هذه المظاهر^(٣).

وسجل القرن الثالث صورا أخرى من أبشع ألوان التعذيب والاضطهاد للمسيحيين وذلك فى عهد الإمبراطور دقلديانوس. فقد أمر بهدم كنائس المسيحية وإعدام كتبها المقدسة وآثار آبائها. وقرر اعتبار المسيحيين مدنسين سقطت حقوقهم المدنية، وأمر بإلقاء القبض على الكهان وسائر رجال الدين، وتجريعهم العذاب ألوانا ونفذت هذه

(١) الفصل ٢١/٢.

(٢) زكى شنودة: تاريخ الأقباط ١٠١/١.

(٣) توفيق الطويل: قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام ٣٥.

التعليمات فى جميع المناطق، فامتأأت السجون بالمسيحيين، واستشهد الكثيرون بعد أن مزقت أجسادهم بالسياط والمخالب الحديدية، أو أحرقت بالنار، أو قطعت إرْباً، أو طرحت للوحوش الضارية، أو غير ذلك من وجوه التعذيب، وقد سمي عصره (٢٨٤ - ٣٠٥) عصر الشهداء^(١).

وهذا الاضطهاد الذى استمر حتى مطلع القرن الرابع كان له أثر بالغ على أناجيل النصارى واضطرابها وانقطاع سندها إلى أصحابها، حيث يقول العلامة رحمت الله الهندي: «طلبنا مراراً من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه، واعتذار بعض القسيسين فى محفل المناظرة التى كانت بينى وبينهم، فقال: إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلثمائة وثلاث عشرة سنة، وتفحصنا فى كتب الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئاً غير الظن والتخمين، يقولون بالظن ويمتسكون ببعض القرائن، وقد قلت إن الظن فى هذا الموضوع لا يغنى شيئاً، فمادام لم يأتوا بدليل شاف وسند متصل فمجرد المنع يكفيننا، وإيراد الدليل فى ذمتهم لا فى ذمتنا^(٢)».

وفى الحق أن تلك الاضطهادات جعلت كل عمل يقومون به فى شئونهم الدينية - خاصة ما كان متصلاً ببيان الشريعة يقومون به سرا لا جهراً، وفى خفية من العيون المتريصة، والأعداء المترقبين، والسرية يحدث فى ظلقتها ما يجعل العقل غير مطمئن إلى ما يحكى عما يحدث فيها، فيتظنن فى كل ما يروى عنها، ولا مانع من أن يدس على اجتماعاتها ما لم يجر فيها، وينقل عن أشخاص ما لم يقوله، ويتسامع الجمهور أموراً ما حدثت فى تلك الاجتماعات، ولا قالها حاضروها فإذا جرى الشك والريب فيما دون من كتب المسيحية التى فقدت سندها بسبب هذا الاضطهاد، والتى كتبت فى ظلمة السرية يكون قد وقع حيث وجدت دواعية، وقامت شواهد^(٣).

(١) المرجع السابق ٤٠.

(٢) إظهار الحق ٨٣.

(٣) أبو زهرة: محاضرات فى النصرانية ٣٨ - ٣٩.

- اعتناق أصحاب العقائد الوثنية للديانة المسيحية:

يقرر ابن حزم أن من عوامل فساد دين النصارى وتحريف كتبهم تلك الطوائف «المدلسة» - كما يسميها والتي فشى دخولها فى المسيحية عندما تنصر قسطنطين واستطاعوا أن يدخلوا على عقائد النصارى ما أحبوا^(١).. وإن التاريخ ليروى لنا أنه فى القرن الثانى، والثالث، والرابع الميلادى قد دخل الرومان والمصريون أفواجا، وأفواجا فى المسيحية^(٢).

ومن ثم استطاع الباحثون أن يجدوا عقيدة التثليث التى طرأت على المسيحية فى بعض الديانات القديمة مثل الديانة المصرية، والديانة الهندية، والديانة البوذية وفى الفلسفة الأفلاطونية بمدرسة الإسكندرية.. مما يرجح أن عقيدة التثليث عند النصارى تستمد أصولها من تلك الديانات جميعا..

وستذكر فيما يلى عقيدة التثليث فى كل من هذه المنابع

(أ) التثليث فى الديانة المصرية:

كان للدين المصرى القديم تأثير قوى فى عقائد النصارى، ليس فقط فى الشعائر بل فى الصور المرسومة. لدرجة أن الكثيرين يعتقدون أن صورة العذراء التى يصلى أمامها المسيحيون فى الكنيسة إنما هى مأخوذة عن صورة (إيزيس) المصرية التى كان يرسمها المصريون وهى تحمل طفلها (حورس) وترضعه.

يقول صاحب قصة الحضارة فى هذا الصدد:

«ولقد كان لهذه الأساطير والرموز الفلسفية الشعرية أعمق الأثر فى الطقوس المسيحية والدين المسيحى. حتى إن المسيحيين الأولين كانوا أحيانا يصلون أمام تمثال إيزيس الذى يصورها وهى ترضع طفلها حورس^(٣)»

(١) راجع الفصل ٢٢/٢.

(٢) أبو زهرة: محاضرات فى النصرانية ٣٩.

(٣) ول. ديوارنت: قصة الحضارة ١٦٠/٢، وراجع أيضا الدكتور محمود مزروعة: دراسات ١٠٥.

ولقد تحدث عن التثليث في الدين المصرى وتأثيره في المسيحية كثير من الفكريين على اختلاف دياناتهم^(١)، ولكن لعل من الخير أن نترك المجال لقلم أحد الكتاب المسيحيين ليصور ذلك فيقول: كان في معتقدات المصريين ما يجعل فكرة التثليث المسيحية قريبة إلى فهمهم.

فقد كان لكل مدينة هامة من مدنهم ثلوث من الآلهة. تختص بعبادته والولاء له. من أمثلة ذلك ثلوث طيبة. ويتكون من آمون (الآب). ومون (الأم) وخنسو (الابن) وثلوث أبيدوس أو العرابة المدفونة، ويتألف من أوزوريس (الأب). وايزيس (الأم) وهوريس (الابن). وكانوا يعتقدون أنهم وان كانوا ثلاثة. إلا أنهم يعملون معاً. كما كان في معتقداتهم ما يجعل فكرة ابن الله من عذراء قريبة إلى فهمهم كذلك. فقد كانوا يعتقدون مثلاً أن (حور محب) آخر ملوك الأسرة الثامنة عشر هو ابن الإله آمون من عذراء. وأن آبيس كان يتجسد في مولود عجلة بكر بعد حلول روح الإله بتاح فيها. وكانوا يصورون في يد آلهتهم علامة ترمز إلى الحياة. وكانوا يسمونها (عنخ) وهى قريبة فى تكوينها من علامة الصليب التى اتخذها المسيحيون شعاراً ورمزاً لهم بعد ذلك.

كما كانوا يستعملون الغسل أو الرش بالماء المقدس. وهو طقس يشبه العماد عند المسيحيين.

وأخيراً نجد فى قصة الإله أوزوريس، واستشهاده، ثم انتصاره فى النهاية على الشر. وجلوسه بعد ذلك فى السماء ليحاسب الناس كلا حسب أعماله ما يجعل قصة حياة المسيح وموته وقيامه وصعوده قريبة إلى قول المصريين وقلوبهم^(٢).

(ب) وأما فى الديانة الهندية:

فالهنود يعتقدون فى الإله (كرشنا) ما يشبه اعتقاد المسيحيين شياً يكاد يكون تاماً.

(١) راجع أحمد شلبى: المسيحية ١٦٩.

(٢) تاريخ الأقباط ٣٦١-٣٧.

فهم يعتقدون أن الإله (كرشنا) هو نفسه الإله (منشتو) وأن الإله كرشنا هو المولود البكر. ويعتقدون بالخطيئة الأصلية التي يقول بها المسيحيون ويعتقدون أن الإله البكر (كرشنا) خلص الانسان من الخطيئة الأصلية بتقديم نفسه ذبيحة عنه. الهنود يصورون الإله كرشنا مثقوب اليدين والرجلين، وهو مصلوب وعلى قميصه قلب الإنسان معلقا. وعلى رأسه إكليل من الذهب. وهذه كلها صور شبيهة بعقيدة المسيحيين في المسيح^(١).

(ج) وأما عن البوذيين:

فإن عقيدتهم في (بوذا) أكثر شبها بالمسيح: فهم يعتقدون فيه ما يعتقدوه المسيحيون في المسيح. حتى إن البوذيين ليطلقون على بوذا لقب: المسيح، المولود الوحيد، مخلص العالم. ويقولون إنه إنسان كامل. وإله كامل تجسد بالناسوت. وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر. ويخلصهم من ذنوبهم فلا يعاقبون عليها ويجعلهم وارثين لملكوت السموات^(٢).

(د) وأما عن الفلسفة الأفلاطونية في مدرسة الإسكندرية:

وهي التي تسمى بالأفلاطونية الحديثة. فهي ترجع العالم في تكوينه وتدبيره إلى ثالث مقدس: المنشئ الأول، العقل الذي تولد منه كما يتولد الولد من أبيه، الروح الذي يتصل بكل حي، ومنه الحياة. فإذا عبرنا عن المنشئ الأول بالأب، وعن العقل المتولد بالابن، وعن الروح بروح القدس. كما هو ثالث النصارى الذي أخذ ببعضه مجمع نيقية. وبكله المجامع التي جاءت من بعده. لما خرجنا في التسمية عن الصواب. وما كان فيها أى تسامح فذلك الثالث في معناه هو ثالث النصارى^(٣).

(١) الدكتور محمود محمد مزروعة: دراسات في الملل والنحل ١٠٧.

(٢) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء ص ٤٣٣.

(٣) أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ٤١.